في الذكرى الـ36 لرحيل جمال عبد الناصر السينما تذرف دموعها الساخنة على «البدر» المفتقد:

في يوم الوداع.. الكاميرا تبكي نيابة عن يوسف شاهين!

جانب من تشييع جنازة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر

القاهرة ـ «القدس العربي»

ـ من كمال القاضي:

في 28 ايلول (سبتمبر) من كل عام تنشط الذاكرة الفنية ـ الوطنية وتطل الصورة الارشيفية الخالدة من الشاشة الصغيرة لتنقل لنا كوسيط امين ما سجلته السينما الوثائقية يوم رحيل الزعيم جمال عبد الناصر من آيات الحزن والفجيعة وكيف ان الحدث الخالد كان حالة استثنائية في تاريخ الانسانية يصعب ان تتكرر، وعلى خلفية ما طرأ من الاحداث السياسية والحروب المشتعلة في العراق ولبنان والتحرشات المستمرة من جانب الكيان الصهيوني بفلسطين وايران وسورية وما نجم عن ذلك من كوارث راح ضحيتها آلاف الشهداء والمصابين، على ضوء ذلك كله كان الاحتياج الى زعيم وقائد في حجم وثقل عبد الناصر باعثا على تجديد ذكراه السنوية بشكل اكثر سخونة من الاعوام الماضية، حيث بات شعاره الآسر «سنقاتل ـ سنقاتل ـ ولن نستسلم» عنوانا لكل الاحتفاليات وبرزت صورته كأنها المحرض على القتال والبديل المرادف لغيابه وخرجت خطبه المسجلة من الادراج لتشعل حماس الجماهير كما كانت من قبل، واحتلت السينما دورها في هذا الخصوص وترجمت بكثير من الصدق حيوية الرجل المتفرد في شجاعته وموته وخلوده السياسي، اذ بلغ عدد الافلام التي انتجت واوردت في سياقها خصاله النبيلة وركزت على مسيرته الوطنية ورحيله الجلل حوالي عشرين فيلما تسجيليا بخلاف الفيلمين الروائيين الشهيرين «جمال عبد الناصر» للمخرج السوري انور قوادري والذي جسد فيه شخصية عبد الناصر الفنان خالد الصاوي، «ناصر 56» الذي قام ببطولته الفنان الكبير احمد زكي، والاخير تناول بالتحديد فترة العدوان الثلاثي على مصر عام 56 وهي لا تتعدى 51 يوما من حياة جمال عبد الناصر كان لها اثر كبير في تغيير مجرى الاحداث في المنطقة، خاصة بعد اعلان تأميم قناة السويس والاصرار على التحدي كقرار يليق بغطرسة الدول الثلاث المعتدية بريطانيا وفرنسا واسرائيل.

والفيلم هنا رغم انه لم يتجاوز هذه المرحلة الا ان دلائله السياسية قد اعطت فكرة وافية عن شخصية عبد الناصر كرئيس دولة وزعيم عربي كبير كان يمثل شوكة في ظهر دول الغرب مجتمعة، اما الفيلم الروائي الثاني «جمال عبد الناصر» فقد اختلف من حيث المضمون اذ شمل كل حياة «ناصر» تقريبا وتطرق الى مواطن كثيرة منها بما فيها الجوانب الانسانية، ولكنه لأسباب تتعلق بالتوزيع الخارجي وتوقيت العرب لم يستمر طويلا في «السوق السينمائية» وربما اثرت الكتابات النقدية بعض الشيء في عدم الاحتفاء به كعمل فني كبير ومهم الى الحد الذي جعل فنانا قديرا مثل نور الشريف يتراجع خطوة الى الخلف معلنا تأجيل حلمه بتجسيد شخصية عبد الناصر على الشاشة الكبيرة خوفا من الاصطدام بالواقع والاحباط امام رد فعل الجمهور السلبي تجاه هذه النوعية من الافلام، ولعل ذلك يقودنا الى رصد التباين والفروق بينه وبين السينما التسجيلية، الأمر الذي يعكس تخاذل السينما الروائية الطويلة وشجاعة السينما التسجيلية التي كان لها السبق في التعامل مع شخصية جمال عبد الناصر مبكرا منذ ان قدم المخرج يوسف شاهين اول فيلم مصور لجنازة الزعيم في نفس يوم الرحيل مسجلا نجاحا ساحقا ومنفردا بتوثيق اللحظات التاريخية النادرة لحظة وقوعها، ففي الوقت الذي غرقت فيه الجماهير في دموعها واحزانها خرج شاهين حاملا الكاميرا لتبكي نيابة عنه وتدلي برأيها في الظاهرة الاسطورية لحظة الوداع الاخير.

وللمخرج احمد فؤاد درويش ايضا تجربة تحسب له كفنان يمتلك حسا سياسيا مرهفا فقد انتج على نفقته الخاصة فيلما وثائقيا مدته 45 دقيقة بعنوان «كرنفال» بعد رحيل جمال عبد الناصر بنحو خمس سنوات في اوج الخصومة السياسية بين السادات والناصريين طرح فيه لأول مرة مخاوف الاقتراب من الامريكان كحليف بديل للاتحاد السوفييتي، وحذر من التوغل في علاقات سياسية قد يعود اثرها السلبي وخيما على مصر، وتنبأ الفيلم باتفاقية «كامب ديفيد» قبل ابرامها بعدة سنوات، وفي السياق النقدي الذي وجهه المخرج للسادات انحاز الفيلم للمرحلة الناصرية، فكانت المصادرة مصيره المحتوم، ولم يفرج عنه الا بعد عام 81 اي بعد ضرب المنصة، ويعد «كرنفال» العمل الفني الاكثر تميزا بين اعمال احمد فؤاد درويش وان تساوى في قيمته الفنية مع فيلمه الاخر «وجوه من القدس» الذي يحكي وقائع القضية الفلسطينية برؤية تشكيلية بارعة المستوى في تداخل مركب بين الرسومات الدالة على القضية والادوات السينمائية المتمثلة في التصوير والاخراج والموسيقى والاضاءة وكافة عناصر التأثير.

وبالاشارة الى التجربة السينمائية الاوضح والاقرب زمنيا نجد اننا سنتوقف اجباريا عن تجربة فريدة المت بمسيرة عبد الناصر كلها في قالب سينمائي وثائقي استغرق حوالي ساعتين ونصف الساعة وعرض بنقابة الصحافيين في اطار احتفالات الحزب الناصري بعيد ثورة يوليو، والفيلم قائم على جمع لقطات تسجيلية حية للرئيس جمال عبد الناصر في رحلاته الخارجية واهم الشخصيات التي قابلها والمؤتمرات التي حضرها مثل مؤتمر باندونغ والخرطوم، بالاضافة الى زياراته لعدد من الدول العربية مثل سورية وليبيا والسودان والتحديات التي واجهها ابان اعلان الوحدة المصرية ـ السورية وخطابه الشهير عن المؤامرة التي احاطت بالمشروع القومي. كما تضمن الفيلم كذلك مقتطفات من احاديثه الاذاعية عن المحاولات الغربية لتفتيت التضامن العربي ومساعي اسرائيل وامريكا الدؤوب لتنفيذ هذا المخطط عن طريق شبكة واسعة من الجواسيس والحلفاء المتواطئين.. وربما يكون الابرز في هذا الفيلم هو الربط التاريخي بين ما كان يشير اليه عبد الناصر وما يحدث الان على الساحة بتطابق دقيق كأن الرجل كان يقرأ كف المستقبل ويدرك بحدسه السياسي المرهف ما سوف يؤول اليه الحال بعد رحيله، خاصة انه ذكر بالنص في واحدة من خطبه المهمة ان امريكا تسعى لتقسيم العراق واحتلالها للاستحواذ على ثرواتها، وبناء قواعد عسكرية لها في المنطقة، وان اسرائيل ستعمل جاهدة على توقيع اتفاقية سلام مع مصر لتتخذ منها ذريعة ومبررا لاقامة علاقات ودية مع دول الجوار تحقق من خلالها مآربها الخبيثة كسرطان يتفشى في الجسد العربي.. هكذا قال عبد الناصر نصا ومعنى فيما يشبه النبوءة.

وبالعودة الى السينما نرى ان هناك افلاما جاء فيها عبد الناصر حاضرا من خلال الاحداث مثل فيلم «رد قلبي» الذي ناقش الواقع المصري قبل الثورة وبعدها ورمز فيه الفنان كمال يس الى شخصية عبد الناصر باعتباره قائد تنظيم الضباط الاحرار، غير ان كثيرا من الافلام الروائية الطويلة اتخذت من مشهد الجنازة المهيب «باك غراوند» للاحداث او نهاية مؤسفة لمرحلة زاخرة من عمر مصر. وايا كانت السياقات والاطروحات الدرامية فان عبد الناصر ظل خالدا في ذاكرة السينما كما هو خالد في ذاكرة الوطن والمواطنين.

تداعيات

ذكريات مع البابا

سهيل كيوان*

■ عاش في قريتنا رجل عرف باسم (البابا)، كان هذا لقبه الذي غلب اسمه، كان الطريق أمام بيته بالذات رحباً يغرينا بكل ألوان اللعب وخصوصا كرة القدم البلاستيكية التي ما كنا لنشتريها لولا اجتماع قروشنا على قلب طفل واحد،هذه الكرة كثيرا ما كانت تسقط وراء الجدار الذي يحجب كل شيء وراءه سوى شجرة توت شديدة الكثافة، وحينئذ نسمع صوت البابا حازماً دون أن نراه بأنه قرر حجز الكرة، تبدأ جوقة الأطفال بالتوّسل والرجاء الى أن يطل نصف إطلالة من البوابة الخشبية القديمة المفضية الى ساحة بيته محاولا رسم ملامح غضب على وجهه لإخافتنا ومعلنا» في المرة القادمة سوف أشقّها بالسكّين» ثم يعيدها إلينا، وبما أنه لم يستطع إخفاء طيبته تحت قناع الغضب فكنا نواصل اللعب، ومرة بعد مرة تسقط الكرة وراء الجدار ومرة أخرى نتوسل ويخرج إلينا غاضبا» شو هذا هون! شارع حيفا"! وطبعا نحن لم نكن قد رأينا ما أسماه » شارع حيفا» في حينه، ولكن افترضنا أنه شارع واسع وهناك أطفال سعداء يلعبون كرة القدم فيه.

لم تقتصر علاقتنا به على الطابة! فقد كان يخرج إذا ما سمع كفرا أو شتيمة ليجمعنا حوله ويحثنا على احترام الله والأنبياء وأمهاتنا وآبائنا، وعندما يضبطنا متسللين الى التوتة لنسرق ثمارها الحمراء التي كنا نحب حموضتها قبل النضوج يقول«طيب يا حبايبي استنوا عليها شويّ حتى تستوي وكلوها حلوه»! كان السعيد من يختاره منا كي يشتري له غرضاً من الدكان فيكافئه بترك بعض القروش له،كان يطلب هذا كل مرة من طفل آخر لإرضاء الجميع.

توطدت علاقتنا بالبابا فصار يسألنا من منكم يعرف القراءة! يمسك القرآن الكريم ويضع إصبعه على آية ويطلب أن نقرأ، فنقرأ بنجاح أكثر أو أقل، يجلسنا حوله ليروي لنا قصص الأنبياء والصالحين ومعجزاتهم ومنهم (ستنا) مريم العذراء وطفلها الذي نطق في المهد وأن إيماننا لن يتم حتى نؤمن بكل الأنبياء والكتب السماوية دون تفرقة. علمنا البابا تقبيل كسرة الخبز إذا وجدناها على الطريق وأن نضعها في مكان مرتفع بعد أن نبلّها بالماء كي لا تداس النعمة ولعلّ طيرا يستفيد منها! علمنا الرحمة بالحيوانات وخص منها القطط كما فعل الرسول الكريم! فيما بعد سمعت عن البابا قصة مع بقرته التي كان اسمها (تقوى)، ذهب بها الى الحقل ليحرث عليها ولكنها أبت وتمنّعت، لم يضربها البابا أو يرغمها، ببساطة قال لها» ليش يا تقوى ما قلتي لي من البيت أنك تعبانة وما بدك تشتغلي اليوم» وقفل عائدا بها الى بيته! في أحد الأيام تجرأ أحد الأولاد وسأله «جدّي أبو محمود ليش الناس يسمونك البابا»؟ فقال «هو أكبر رجل ديـن عند النصارى، ويسمونه قداسة البابا، يقولون أنني شديد الشبه بالبابا الذي زار الناصرة (بولس السادس في العام 1964) ولهذا أطلقوا عليّ هذا اللقب، وبدا مسرورا وهو يقول «وهل هي درجة بسيطة أن يكون الواحد بابا!من يصلها لا بد أن يكون شديد التقوى ويعرف مخافة الله» كبرنا وانشغلنا وما عدنا ننتبه للبابا أو نذكره لأننا لم نعد نراه، فقد اعتكف في بيته ونادراً ما ظهر على الملأ، يقال أنه حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب!

وتقول إحدى بناته أنها كثيرا ما فوجئت بوالدها متحدثاً مع الملائكة، نسيَه الناس الى أن أُعلن عن وفاته وعن ساعة دفنه من مكبر صوت المسجد، ولأن لقبه غلب اسمه فقد نودي عليه بهذه الصيغة «يا أهالي قريتنا الكرام نعلمكم بوفاة المرحوم البابا.. محمد محمود الحسين!» رحم الله البابا وطيب ثراه ، تذكرت (بابا) قريتنا بفضل تفوهات البابا بنديكتوس الذي قال ما قال بحق الرسول العربي الكريم لإرضاء قتلة ومغتصبي ومجوّعي أطفال ورجال ونساء العراق ولبنان وفلسطين وليمنح جزاري العصر من تجار البترول والسلاح والدم صكوك غفران على جرائمهم وإرهابهم المنظم والمستمر ضد العرب والمسلمين.

*كاتب من فلسطين

«امرأة الرّسالة» العمل الرّوائي الجديد للكاتبة والفنّانة التشكيليّة رجاء بكرية

بيروت ـ «القدس العربي»:

صدر العمل الروائي الجديد للكاتبة والفنّانة التّشكيليّة رجاء بكرية، بعنوان «امرأة الرّسالة».

والجدير ذكره أنّ دار الآداب كانت قد تبنّت العمل في نيسان (أبريل) الماضي وخطّط موعد إطلاقه أواخر تموز/ يوليو الماضي غير أنّ نشوب الحرب حال دون ذلك.

«امرأة الرّسالة» هي العمل الرّوائي الثّاني للكاتبة بعد رواية «عواء ذاكرة» الصّادرة سنة 1995 والمجموعة القصصيّة الصّادرة سنة 2003 عن المؤسّسة العربيّة للنشر والتوزيع، بيروت.

وقد جاءت الرّوَاية في 390 صفحة من القطع المتوسّط. لوحة الغلاف خاصة بالفنّان الهولندي المعروف فيرمير، «امرأة بالأزرق تقرأ رسالة».

وفي إهداء الكاتبة للرّواية جاء:

«إليك ثمّ إليك ثمّ إليك...

هل علقت قبلي امرأة بدَنَ شوقها جسرا لعبور العشق.

أحبك..

هل سمعتَها دافئة النّبض هكذا كغوص نقطة في سطر؟

إلى عكّا وإليك...»

تستند فكرة الرّوَاية على حكاية عشق عاصفة بين رجل وامرأة. الرّجل مخرج مسرحي والفنانة باحثة في المسرح الفلسطيني. تتكشّف تفاصيل هذه العلاقة عبر مضامين الرسالة الّتي ترسلها المرأة إلى الرّجل بعد أن يختفي فجأة دون أن يترك أثرا. ملابسات الحدث تكشف عن تورّط الرّجل بعمليّة تفجير مبرمجة لحافلة الركاب الّتي تأخذ طريقها من الكابري إلى قلب عكا. من مدينة عكا تتداخل الأحداث، وتأخذ مسارا دراميا يتصارع فيه الحبّ والسياسة، الخيانة والولاء، الغربة واللّقاء.

وبين عكا وحيفا، لندن والعراق تترسم ملامح الشّخصيّات والأماكن، وتكتب المرأة أوراق صراعاتها بأفراحها وخيباتها.

غلاف الكتاب

معرض ثقافي لجمعية جسور الابداع:

الابداع التونسي في شتى أصنافه

تونس ـ «القدس العربي»

من شمس الدين العوني:

من تلك البيئة الاولى باجة المعروفة قديما بفاقا نهلت الطفلة الحالمة بالحياة وبالالوان الرسامة حياة المؤدب القاسمي من هذه المساحة التونسية المعروفة بحقول السنابل واغاني الفلاحين... هكذا استنبطت حياة كل هذه الهواجس والتعبيرات في تلوينها جمالية زادها عنفوانا ما تراكم في المدينة وفي العائلة من قصص وحكايات وسفر وترحال وهيام بما هو فني وانساني...

لقد اجتمعت فيها القصائد والالوان وبذخ الحالات فانطلقت الرحلة مع الفن التشكيلي بحب كبير حيث تمكنت من تعميق علاقتها التشكيلية وفق ضرب من العفوية صارت من خصائص فنها واعمالها التي بلغت مدنا اخرى في تونس وفي العالم العربي وفي اوروبا وفي امكنة اخرى من العالم ونذكر على سبيل المثال الصين وتركيا وسويسرا وفرنسا وبلجيكا وايطاليا والمانيا والامارات وليبيا والولايات المتحدة الامريكية تفرغت لاعمالها ومعارضها وصارت من علامات الفن التشكيلي التونسي المعاصر على غرار زبير التركي والقرجي والهيشري ولين ساسي وقامت بحوالي 350 معرضا منها 150 فرديا... صدرت لها مجموعات شعرية باللغة الفرنسية، عضو جمعيات عالمية مثل النساء الفرنكفونيات سنة 1995 ورعاية الشيخوخة سنة 1990 والمركز العالمي للتوثيق انقلترا سنة 2001 كما تحصلت على عديد الجوائز والأوسمة ورئيسة جمعية جسور الابداع... هذه الجمعية التي تنشط في المجال الثقافي وقد اعدت برنامجا وطنيا من خلال محطات انطلقت اولاها هذه الايام من 16 الى 23 سبتمبر الجاري تحت عنوان مرحبا يا رمضان وذلك بقاعة الاخبار حيث يعرض عدد من اصحاب الاعمال مشاريعهم ضمن تقديم لما هو ثقافي وتجاري خصوصا في مجال الابداعات الفنية والحرف والصناعات التقليدية كما تتواصل بقية المحطات مع سهرة رمضانية ادبية بباجة وسهرة فنية بمشاركة اسامة فرحات ومنيرة حمدي بالاضافة الى ندوة خلال شهر جانفي سنة 2007 حول الثقافة الرقمية ببلدية باجة.

وقد بعثت هذه الجمعية لجسور الابداع منذ سنة 2001 وتترأسها الرسامة حياة المؤدب القاسمي حيث حددت عددا من الاهداف منها دعم اشعاع تونس الثقافي والحضاري داخليا وخارجيا من خلال هذه الانشطة وغيرها كما تصدر نشرية فصلية تغطي اهم الفعاليات المنجزة... وتتخذ الجمعية كمقر لها منزل طفولة مؤسستها حياة القاسمي بجامع الكبير بباجة هذا المنزل العتيق الذي كان مقرا لكل الجمعيات بباجة مثل المصائف والكشافة وهو عبارة عن تخليد لوالدها المؤسس للمدرسة القرآنية السيد محمد بن سليمان حاج قاسم المعلم المشهور والخبير الفلاحي الاول في عهد الاستعمار ويضم المكتب التنفيذي للجمعية وفروعها الاخرى عددا من المثقفين واصحاب الاعمال مثل حافظ الميلادي والبشير البوكاري وهد بن زيدي ومصطفى الفارسي ونجاة العدواني.

وبخصوص هذا النشاط الذي تحتضنه قاعة العروض بقاعة الاخبار فانه يندرج في اطار ربط الصلة بين اصحاب الاعمال والمثقفين حيث تم عرض عدد من الابداعات في مجال الحرف والصناعات التقليدية والنسيج وذلك لاعطاء الفرصة للمنتجين في هذه المجالات لعرض اعمالهم حيث تشارك مجموعات ومؤسسات من عدة ولايات تونسية كما يتم عرض عدد من الاعمال التشكيلية للفنانة حياة المؤدب القاسمي وهي لوحات عرفت بها الرسامة خلال تجربتها التي تميزت بالمنحى العفوي حيث نجد لوحات تمثل مشاهد من اليومي في تونس وخاصة في باجة مثل الحمام والعولة ومختلف المناسبات وفي هذه اللوحات تبرز خبرة الرسامة في سياق توجهها الجمالي والفني الذي عرفت به.

وبخصوص هذه التجربة تقول الرسامة رئيسة الجمعية: "هي مناسبة اخرى يبرز من خلالها نشاط الجمعية واعني جمعية جسور الابداع فالفن والثقافة رافدان مهمان في الحياة ولا بد لما لهما تواصل مع روافد المجتمع الاخرى فالجانب الابداعي نجده ايضا في المنتوجات التقليدية مثل النسيج والحلي وهذا يتطلب جانبا فنيا جماليا كما يمثل هذا المعرض بقاعة الاخبار محطة اخرى ضمن برنامجنا المفتوح لسنتي 2006 و2007 الذي يتضمن ندوات ومعارض وسهرات موسيقية وطربية فنية وتكريم للمتفوقين والتعريف ببعض مظاهر الابداع الثقافي والحضاري في تونس لدى الاشقاء والاصدقاء وبالمناسبة اشكر كل الذين لبوا دعوة المشاركة ومن ساعد على انجاح هذه الفعاليات واتمنى مزيد التفرغ للاعتناء بانجاز بقية البرامج وخصوصا اعداد دار القاسمي بباجة حتى تكون درة للثقافة والتراث حفاظا على الهوية ودعما للابداع..."